البعد الهوياتي

الهوية المقدسية

لكل شعب أصالته وهويته المتجذرة فيه والتي تميزه عن غيره، كما أن البحث عن الجذور يُعد قضية اجتماعية لأي شعب. وللأسف هناك الكثير والكثير في العالم العربي من المحيط إلى الخليج ومن الخليج إلى المحيط لا يعوا مفهوم الهوية، ولا أبالغ حين أقول أن شعوب العالم العربي قاطبةً لا تُدرِك تاريخ بلادها بشكلٍ صحيح، وهذا يرجع لتزييف التاريخ لمطامع سياسية استعمارية ويرجع أيضاً إلى دور الإعلام الهش في ترسيخ معلومات خاطئة في ذهن المواطن العربي، كما أنْ موضوع الهوية شديد الحساسية،لأنه صعب المعالجة داخل كل إدعاءٍ نظري فبداخله تلتقي السوسيولوجيا بالسيكولوجيا والأنتربولوجيا والإيديولوجيا والسياسة.

الهوية

- ***هل الهوية مصطلح أم مفهوم وما الفرق بينهما ؟؟***

هناك اشكالية كبيرة، إذ يعتقد الكثير بأن المفهوم والمصطلح ما هما إلا مترادفات لفظية واحدة والحقيقة أن كلٌ منهما يختلف عن الآخر. تماماً فالمفهوم هو صورة عقلية تتكون عن طريق الخبرات المتتابعة التي يمر بها الفرد وهذا يسمى بالمفهوم المادي وهناك المفهوم المجرد ويعني فكرة أو مجموعة أفكار يكتسبها الفرد.

المصطلح: إن كان المصطلح يعني التصالح فما العمل إن كان من سكَّ المصطلح لم يتصالح معنا ؟

على سبيل المثال : هناك مصطلحات كثيرة روج لها الغرب نكررها يومياً ،الصهيونية، شعب الله المختار ،الهولوكوست،الجماعات اليهودية، ومن أهم المصطلحات التي روجت لها الصهيونية العالمية هو مصطلح **معاداة السامية** هذا المصطلح الذي يدل على عنصرية عرقية ويعني هنا أن كلمة سامي أو آري تعني يهودي فقط وظهر هذا المصطلح تحديداً عام 1879 حين استخدمه الصحفي الألماني وليام مار ونحن نكرر هذا المصطلح الذي هو خطأ بمفهومه الدلالي وكأننا نتفق معهم بأنَّ اليهود فقط هم الذين انحدروا من الجنس السامي وهذا المصطلح جاء استناداً إلى سفر التكوين الذي يقول بأنَّ كنعان لم ينحدر من نسل الساميين بل من نسل الحاميين، غير أنهم ربطوا الكنعانيين بالكريتيين على الرغم من أنَّ البحر المتوسط كان يُسمى قديماً ببحر كنعان وقد تكون كريت هي التي تابعة لكنعان كما يثبت التاريخ القديم، ولكن الرواية التوراتية أرادت إستبعاد الكنعانيين ونسبهم للحاميين وفقاً لسفر التكوين لتثبت أنهم ليسوا

بأصحاب هذه الأرض، وهناك مصطلحات كثيرة تعكس جيوتية صهيونية مثل التاريخ اليهودي والعبقرية اليهودية وهنا يتضح التطرف بعينه وكأنَّ التاريخ والفكر يقتصر على اليهود فقط مستثنين كل الشعوب ناكرين تاريخ البشرية جمعاء، وللأسف لا أبالغ حين أقول أنَّ العالم العربي بأكمله يعاني من الإحتلال الفكري لطمس هويته وثقافته.

إذن الهوية هي مفهوم وليست مصطلح، والهوية حسب معجم الوسيط تعني جوهر الشيء، وفي أكسفورد الإنجليزي تعني حالة الكينونة المتطابقة في الذات بإحكام، و روبير الفرنسي يُعرف الهوية على أنها الخاصية الثابتة في الذات. إذن فالهوية حسب معاجم اللغة هي مجموعة الخاصيات أو الميزات التي لا تتغير، أي السمات الجوهرية التي تمنح الإنسان أصالته.ولكن هناك تساؤل بسيط جداً يدور بذهني، أليس الكون قائم على التغير؟ أليس التغير هو ناموساً طبيعياً؟ إذن لا يوجد شيء غير قابل للتغير أو التجدد، أليس الإنسان يؤثر ويتأثر أليس هو كائن عاقل واعٍ وغير واعٍ، جاهل ومثقف، قديم ومتجدد، مؤمن وكافر، فردي وجماعي، مستهلك ومنتج. كل هذه الأبعاد هي أبعاد متناقضة لمفهوم الهوية. وفي هذه المداخلة البسيطة سأسلط الضوء على القدس وهويتها المقدسية، القدس التي شهدت كل صنوف الغزو المتعددة ولكن رغم هذا أعتقد بأنَّ هذا الشعب الكنعاني الفلسطيني الذي شهدَّ كل صنوف الغزو وعانى مثله مثل الكثير من الشعوب ليحافظ على هويته، فبرغم كل محاولات طمس الهوية فالطوبونيميا بفلسطين تدل على عروبة هذه الأرض فهي طوبونيميا كنعانية .

أغلب المؤرخين ان لم يكن جلهم المؤرخين أثبتوا أن هذه الأرض هي بمثابة وعاء تاريخي لحضاراتٍ قديمة قدم التاريخ نفسه. فما من مدينة حظيت باهتمام البحاثة ورجال السياسة والاهوت مثل مدينة القدس.

أما بالنسبة لاسم المدينة ، فقد اعتمد الباحثون في هذا المقام على مواد العهد القديم ، فقالوا

بأن أسمها الأول كان "يبوس" ، ثم صار أسمها "أورشليم" أي أورساليم وتعني مدينة السلام وهذا الاسم هو اسم كنعاني وبعد ذلك "اليا " أي بيت الله في العصر اليوناني. وبعد ذلك ايليا، وبعد الفتح الإسلامي بزمن عرفت باسم القدس ، أو بيت المقدس ، ويضاف إلى هذا أن أسفار العهد القديم أطلقت عليها أسماء أخرى مثل: سالم ، وهيروسوليما ، وبيدرأرنان، وأريئيل ، ومدينة قوية، وابنه صهيون ، والمدينة الدموية ، والمدينة المطلوبة غير المهجورة ،ومدينة قوية ، ومدينة الرب ، والسيدة في البلدان ، والعظيمة بين الأمم، ووادي الرؤيا، وسدوم.[1]ومع أن اسم يبوس اسم عربي ، مازال معروفا (جديدة يابوس) ً في أحواز دمشق الا انه من غير الممكن توثيق جميع هذه

[1] الموسوعة الفلسطينية –القسم العام – الطبعة الأولى 1983 ،الجزء الثالث، مادة "قدس"

الأسماء التي وردت في أسفار العهد القديم. وهناك لغط كبير حتى لدى بعض المثقفين ألا وهو اعتقادهم بأن لفظة أورشليم ومدلولها هو عبري، رغم أن تهويد الأماكن الفلسطينية يقوم على محاكاة جذرها الكنعاني لتلفيق ارث عبري مزعوم..[2]

طبوغرافيا مدينة القدس

يرجع تاريخ المدينة المقدسة إلى أكثر من خمسة آلاف سنة، أقيمت نواتها الأولى في بقعة جبلية وهي جزء من جبال القدس التي تمثل العامود الفقري لأرض فلسطين. لن أدخل كثيراً في التفاصيل التاريخية للمدينة المقدسة ، لضيق الوقت سرد تفصيلي ولكن أهم الحقب التي أثرت في تاريخ القدس حسب المؤرخين وان كان هناك لغط كبير أثبتته الأركيولوجيا – علم الآثار والحفريات.. لاسيما الرواية التوراتية والعصر اليهودي الرسالة إلى العبرانيين.

- ال**عصر الفرعوني (16 – 14 ق.م)**
- **العصر البابلي (586 – 537 ق.م)**
- **العصر الفارسي (537 – 333 ق.م)**
- **العصر اليوناني (333 – 63 ق.م)**
- **القدس تحت الحكم الروماني (63 ق.م – 636م)**
- **العصر الإسلامي الأول (636 إلى 1072م)**
- **القدس إبان الحملات الصليبية**
- **المماليك**
- **الحقبة العثمانية**
- **الاحتلال البريطاني (1917 – 1948م)**
- سقطت القدس بيد الجيش البريطاني في 8 – 1917/12/9 بعد البيان الذي أذاعه الجنرال البريطاني اللنبي، ومنحت عصبة الأمم بريطانيا حق الانتداب على فلسطين، وأصبحت القدس عاصمة فلسطين تحت الانتداب البريطاني (1920 – 1948). ومنذ ذلك الحين دخلت المدينة في عهد جديد كان من أبرز سماته زيادة أعداد المهاجرين اليهود إليها خاصة بعد وعد بلفور عام 1917.
- **مشروع تدويل القدس**
- أحيلت قضية القدس إلى الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، فأصدرت الهيئة الدولية قرارها في 29 نوفمبر/ تشرين الثاني 1947 بتدويل القدس.

[2] كتاب "معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية، وتفسير معانيها ومدلولاتها السياسية والحضارية"، من تأليف محمد حسن شراب، وإصدار دار "الأهلية" في عمان عام 2000، عام 1999.

- **إنهاء الانتداب البريطاني**
- في عام 1948 أعلنت بريطانيا إنهاء الانتداب في فلسطين وسحب قواتها، فاستغلت العصابات الصهيونية حالة الفراغ السياسي والعسكري وأعلنت قيام الدولة الإسرائيلية. وفي 3 ديسمبر/ كانون الأول 1948 أعلن ديفيد بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل أن القدس الغربية عاصمة للدولة الإسرائيلية الوليدة، في حين خضعت القدس الشرقية للسيادة الأردنية حتى هزيمة يونيو/ حزيران 1967 التي أسفرت عن ضم القدس بأكملها لسلطة الاحتلال الإسرائيلي.
- أثبت علم الركيولوجيا أن أغلب الوثائق التاريخية التي تخص القدس حتى التي عثر عليها في دول عربية تم ترجمتها من قبل الأركيولوجيين الذين قاموا بعمليات التنقيب بشكلٍ خاطيء لتزييف تاريخ القدس الحقيقي.

كما ذكرت آنفاً أن لكل كتاب سماوي قرائتان قراءة روحانية وقراءة سياسيه ومع القراءة السياسيه للتوراة استطاع حاخامات تبني فكرة أنهم شعب مضطهد من العالم أجمع استناداً على الرواية التاريخية " النزعة المعادية لليهودية " في القرن الرابع الميلادي ، وبدأ يرى اليهود أنهم خيرة الشعوب وهم شعب الله المختار مما أطفى عليهم صفة التطرف أي تطرف العصابات في تعصبها القومي وبدأ التلموديون الذين فرضوا تعاليمهم الجديدة بمنع الشباب اليهودي من دراسة شيء غير التوراة وعملوا على أن يحصر اليهود دراستهم على شريعتهم دون غيرها وبدأو يعملون على عزل اليهود عن الشعوب الأخرى، وبدأ يعمل مفكريهم أمثال ليو بنسكر المؤسس لحركة محبي صهيون على ترسيخ فكرة الإضطهاد وأنهم مطاردون بكل مكان بمساعدة حاخامات مثل مارتن بوبر وحايم وايزمان وبدأ هرتزل يوظف هذا المفهوم على أساس ديني لانشاء وطن قومي وبرغم إعلان هيرتزل بأنه ليس ديني بل غنوصياً إلى أنه أراد أن ينتقل من إعادة إحياء الثقافه اليهودية من جديد إلى إنشاء كيان يهودي في فلسطين مستغلاً الهولوكوست. بادر اليهود إلى تغيير أسماء كثير من المواقع والبلدان الفلسطينية منذ وقت مبكر واستبدلوها بأسماء عبرية غالبا ما تكون توراتية أو لعلاقة بالتوراة والتلمود، إمعانا منهم في التشبث بحق يدعونه في فلسطين و سلخ فلسطين عن شقيقاتها، وتشريد أهلها، وإحلال اليهود من كل أصقاع العالم بدلا منهم، ولاستكمال حلقات التزوير التاريخي للحقيقة فقد راحوا يغيرون معالم التجمعات البشرية والمواقع الجغرافية، ويستخرجون من التوراة والتلمود أسماء يطلقونها عليها. ويمكن إجمال أوجه التحريف والتزوير التي طرأت على البلدان والأماكن الفلسطينية في مايلي:

1. **ترجمة الاسم العربي إلى العبرية (العبرنة). ومن هذا القبيل ترجمة "باب الواد" إلى شاعر هاجاي، وهي ترجمة حرفية اذ تعني كلمة شاعر: باب، بوابة،** وها : ال، و جاي: واد،

ويناظرها في العربية الجواء والجو. وباب الواد غرب القدس معروف. وترجمة "دار الجمرك" إلى "بيت ها ميخس" والمعنى بيت المكس. وهي محطة حدودية كانت بين فلسطين وسورية على الجانب الشرقي من جسر بنات يعقوب. وترجمة "الضفة الغربية" إلى جداه معر بيت، وجبل الزيتون في القدس إلى هار هزيتيم، وجبل الخروف في النقب إلى هار هاحاريف، وخان التجار إلى حانوت تجاريم، وهو أيضاً سوق الخان، ويقع في الجليل السفلي

2. تحريف الاسم العربي ليلائم اسماً عبريا، أو صرفه عن جهته وحسب. وأمثلة ذلك كثيرة جداً، ويتراوح التحريف بين استبدال حرف بآخر سواء كان نظيراً له أم لم يكن، كتغيير القصرين إلى كتسرين، وهي خربة تقع إلى الشمال الغربي من القرية العربية المهجرة "أم خشبة"، إذن نلاحظ هنا أن التسمية تمت باستبدال الصاد بما يناظرها صوتيا في العبرية وهو"تس". واسدود إلى اشدود، وبيت الأثل إلى بيت ايشيل، والأثل من شجر الصحراء معروف، وعبلين إلى ابلين... إذ المعروف أن السين والثاء يناظرهما الشين والعين أخت الهمزة. وربما كان التحريف في غير حرف واحد، وإضافة أو حذفاً، على نحو ما نجده في "يالو" إذ أصبح اسمها أيالون، وتقع إلى الشمال الغربي من باب الواد غربي جبل القدس، و"الدميث" الواقعة في الجليل الغربي، إذ أصبح اسمها أداميت، واكسال أصبحت كسيلوت (جمعا)، وبيت عنات بعد أن كان اسمها البعنة، وبقعات عيرون سهل عارة، ورجم العطاونة الذي أصبح اسمه جباعوت ايتون، وبلدة قطرة التي غدا اسمها جديرة، وخربة أم دومانة التي غدت ديمونة، وقرية الطوفانية التي صار اسمها حيبل تيفن، وقاقون اذ صارت "يكون" وغيرها كثير. ونود أن نشير هنا إلى أن ثمة أصواتا عربية (حروفا) لها نظائر في العبرية كالتي ذكرتها قبل قليل، وأخرى تناظر حرفي أ و v في الانجليزية، وقد عبرنا عنهما بالباء والفاء من مثل جفعات ويبنه ونحوهما.

3. ومن المستعمرات الإسرائيلية ما أقيم قريباً من بلدة عربية هجر أهلها عنها. سواء عام 1948 أم 1967 وأعطي اسمها صريحاً أو محرفاً. ومن أوضح الأمثلة :كفر سابا، وقد دمرها اليهود في أعقاب عام 1948 وأسس في موقعها مستعمرة كبلن بينما أسس على بعد 2كم مستعمرة أخرى إلى الغرب منها باسم كفار سابا ومن ذلك بيت هاشيطة المقامة في أراضي قرية شطة، ومجدال ها عيمك المقامة في أراضي المجيدل العربية، ومجداليم المقامة في أراضي مجدل بني فاضل وكريات ملاخي التي أقيمت في أراضي قسطينة وغيرها كثير.

أبو ديس: حي على بعد 3 كم شرق القدس، قرب العيزرية أطلق عليه اليهود اسم بحوريم.

أبو صنديح: مرتفع في جبال القدس حيث تلتقي غربا مع السهل، أقاموا فيه مستوطنة جفعات سيليد.

يعد الاستيطان هو أهم مخطط من مخططات طمس الهوية أو بالأحرى تهويد الهوية الفلسطينية، فمن خلال الاستيطان ستحقق اسرائيل توازن ما بين الطرح الجغرافي والطرح الديموغرافي للمدينة المقدسة ، كما أن الاستيطان في فلسطين لاسيما القدس مر بمراحل تاريخية :

المرحلة الأولى : بدأ تاريخ الإستيطان الممنهج في فلسطين منذ العام 1840 بعد انعقاد مؤتمر لندن تحديداً ففي العام 1855 قام رجل الأعمال اليهودي مينيفوري بشراء أرض في مدينة القدس أقام عليها أول حي سكني يهودي يُدعى مشكانوت شعنا نيم وفي العام 1860 اشترى إثنان من اليهود قطعتي أرض قرب قالونا والثانية قرب بحيرة طبريا وأسسا 20 سكنه يهودية ومن هنا بدأت أولى خطوات الاستيطان الممنهج على هذه الأرض وهذا دليل على أن الصهيونية العالمية تخطط لإحتلال هذه الأرض قبل وعد بلفور أو مؤتمر بازل فعلينا أن نفرق مابين الصهيونية العالمية التي بدأت نواتها عام 1806بمحاولة من نابليون استغلال أطماع اليهود لتحقيق أهدافه الاستعماريه في الشرق وفي فلسطين وبين الصهيونية الحديثة التي كان تيودر هيرتزل أحد مؤسسيها، ومن أبرز نشطاء هذه المرحلة اللورد بالمرستون وشافتسبوري وبعد ذلك شهدت فلسطين هجرة 30 ألف مهاجر يهودي في قبل الحرب العالمية الأولى واستمرت حتى بداية الانتداب البريطاني عام 1920 ومنذ هذا التاريخ وبدأت اسرائيل بسياسة الاستيطان الممنهج لفلسطين وتهجير العرب قسراً من أراضيهم .

المرحلة الثانية: كانت منذ الإنتداب حتى قيام دولو اسرائيل عام 1948 وفي هذا العام تدفقت الهجرات اليهودية على فلسطين أما المرحلة الثالثة فكانت من 1948 وحتى عام 1967 وبدأت اسرائيل في مصادرة الأراضي العربية ،المرحلة الثالثة فبدأت مع بداية العام 1967 وشهدت تلك المرحلة تدفق أعداد كبيرة من المستوطنين أما المرحلة الرابعه فكانت بعد توقيع اتفاقية أوسلو وصولاً إلى إقامة الجدار الذي يبتلع آلاف الدونمات الزراعية .

وكان للجمعيات االاستيطانية العاملة في القدس، بصورة أو بأخرى، ذراعا إسرائيلية رسمية تضرب بواسطتها الحكومة الإسرائيلية في مواضع وطرق كانت ستسبب لها حرجا دوليا كبيرا

لو قامت بذلك بشكل مباشر، وبالتالي فهي تحقق أهدافا تتقاطع فيها السياسة الرسمية الاسرائيلية مع غالبية المستوطننين وأكثرهم تطرفا وتشددا أيديولوجيا، بأقل كلفة وخاصة »إلعاد« و»عطيرت كوهنيم« أساسا في البلدة القدمية ومحيط المسجد االقصى والأحياء الملاصقة والمجاورة لها مثل سلوان والشيخ جراح، وتسعى الى تهويد هذه المناطق التي تشكل الدائرة الضيقة للقدس أو قلبها التاريخي، بعدما تمت احاطتها بحزام استيطاني كثيف.

لتسهل للجمعيات االستيطانية إمكانية حصولها على دعم وإسناد المتمولين الصهاينة

كما تقوم ما تسمى بـ»دائرة أراضي إسرائيل بنقل العقارات المستولى عليها بموجب

قانون »أملاك الغائبين «، الذي تطبقه إسرائيل على القدس بهدف السطو على أملاك الفلسطينيين لتغير المعالم وتشويه الهوية .

سرقة التراث استناداً إلى مقولة بنغوريون الكبار يموتون والصغار ينسون:

تتعرض فلسطين؛ بشعبها وقضيتها وتراثها إلى النهب والقتل والاستهداف المباشر وغير المباشر للقضاء على هذه القضية، وإنهاء هذا الشعب.. وتشكل مقولة رئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي الأسبق ديفيد بن غوريون: "الكبار يموتون والصغار ينسون" أساس وجوهر الاستهداف المنظم للإنسان الفلسطيني سواء في الضفة الغربية وأراضي 48 أم في الشتات، بغرض تفريغ الذاكرة الجمعية الفلسطينية من مخزونها الثقافي والفكري والتراثي.

- وإذا كانت عمليات سرقة الأرض وتهويدها ماضية، فإن عملية استهداف الإنسان الفلسطيني تسير عبر قتله مادياً ومعنوياً من خلال سرقة الموروث والمخزون التراثي، وذلك بسرقة الثوب والزي الفلسطيني وتحويله لباس مضيفات طيران شركة العال الإسرائيلية، والإدعاء أنه زيّ إسرائيلي، وسرقة الطابون والشاقل (الشيقل) عملة إسرائيل، بدلاً من الليرة– الجنيه وهي كلمة كنعانية الأصل.

- ولأن الإسرائيليين ليسوا أصحاب الأرض فقد عمدوا إلى طمس الملامح العربية "الإسلامية والمسيحية" في فلسطين وكل ما هو موجود وشاهد على قدم الوجود العربي فيها.

- وعمدوا كذلك إلى محاولات "خلق تلفيقات" تدعم "كذبهم وزورهم" لكي يوهموا العالم بحقيقتها عبر التزوير والاستيلاء على التراث الفلسطيني وإزالة كل ما يدل على ملكية فلسطين لأصحابها.
- الشعبي ثروة كبيرة من الآداب والقيم والعادات والتقاليد والمعارف الشعبية والثقافة المادية والفنون التشكيلية والموسيقية، وهو علم يدرّس الآن في الكثير من الجامعات والمعاهد الأجنبية والعربية لذا فإن الاهتمام به من الأولويات الملحة.

- ويُعرف الكاتب صالح زيادنة التراث بأنه ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل، نقول: "التراث الإنساني" التراث الأدبي، التراث الشعبي"، وهو يشمل كل الفنون والمأثورات الشعبية من شعر، وغناء، وموسيقى، ومعتقدات شّعبية، وقصص، وحكايات، وأمثال تجري على ألسنة العامة من الناس، وعادات الزواج والمناسبات المختلفة وما تتضمنه من طرق موروثة في الأداء والأشكال ومن ألوان الرقص والألعاب والمهارات".
- اعتبر نبيل علقم في دراسة له بعنوان: "التراث والتراث الشعبي الفلسطيني"، أنه "لو جرّدنا أي شعب من إبداعه وشعائره ومراسيمه وعاداته وتقاليده – وهذه كلها تشكل ثقافته – أيبقى شيء ذو بال يعطي صورة عن المجتمع؟ قد نستطيع في مثل هذه الحالة أن ندرس بعض نواحي المجتمع كاقتصادياته وهويته السياسية وفئاته البشرية وحتى مثل هذه الدراسة تبقى ناقصة لأنها تتأثر بالناحية الثقافية، وحتى نفهمها لا بد من دراسة الثقافة، فالثقافة تعكس العقلية السائدة، ومن دراسة عقلية شعب ما نستطيع الحكم عليه والتعرف على مشاكله الاجتماعية واقتراح الحلول المناسبة لها، وفي تراثنا كل أغنية، أو بكائية، أو مثل، أو أسطورة تروي لنا ناحية من نواحي التفكير لدينا، سلباً أو إيجاباً، وأضرب مثلاً على انعكاس السلبيات في التراث على المجتمع وعملها على تخلفه: ففي مجتمعنا الشعبي تسود نظرة التقديس للأولياء في قطاعات كبيرة من شعبنا العربي في كل مكان، ونرى كثرة الأساطير التي نشأت حولهم، ماذا يعكس ذلك؟ إنه يعكس صورة مجتمع بحاجة إلى المزيد من الوعي للتخلص من تأثير مثل هذه الخرافات..".

- ويضيف علقم: "إن دراسة تراث قرية ترمسعيا في رام الله تقدم صورة عن التراث الفلسطيني لأنها جزء من الريف الفلسطيني بسكانه وعاداته وتقاليده وعقلية أبنائه، فتراث هذه القرية هو تراث كل قرية بروحه ومعناه، فالأعراس والمآتم والمعتقدات والطب الشعبي والأمثال والصناعات الشعبية تكاد تكون واحدة في كل أنحاء الريف الفلسطيني.

- ولا يقتصر التشابه بين هذه القرية والريف الفلسطيني بل يمتد أحياناً إلى المدن ولا يفوتني هنا أن أذكر أن الفروق ليست شاسعة بين الريف والمدن في بلادنا كما هو الحال بين الصعيد والقاهرة مثلاً، وأضرب على هذا التشابه مثلين فقط من مدينة الخليل وهي حلقة وصل بين المدن والريف في فلسطين: "ففي الخليل تقضي مراسيم الزواج بأن تذهب النساء على شكل موكب إلى دار العروس ويحضرنها معهن إلى باب دار العريس فتضع العروس على هذا الباب غصناً أخضر قبل دخولها".

- وفي ترمسعيا: "تتسلمها النساء (العروس) حيث تقف حتى تحضر سلفتها إذا كان لها سلفات وتمسك بيدها وتعطي العروس خميرة عجين ملصوقاً بها ورقاً أخضر حيث تلصقها على باب البيت من أعلى قبل الدخول".

- وفي الخليل: "لكل عائلة ديوانها الخاص بها وهو عبارة عن مكان يجتمع فيه أفراد العائلة من الذكور في أفراحهم وأحزانهم وفي الأعياد والمناسبات، كما أن نفقاته توزع على أفراد العائلة كل حسب مقدرته المادية"، ونفس الكلام تماماً ينطبق على ترمسعيا، "فالديوان فيها عبارة عن غرفة تجتمع فيها الحامولة في أوقات فراغهم وسهراتهم".

- فالتراث إذن هو تراث واحد ولا يقتصر على ناحية معينة فهو يكاد يكون عينه في كل أنحاء فلسطين في محتواه وأسلوبه وشكله.

- وكتب نزيه أبو نضال تحت عنوان: "ما هو التراث؟": أن "التراث ليس مجرد ذاكرة للشعوب ولكنه حضور حي وفاعل في الراهن يُعيد تشكيله وصياغته كما يسهم برسم ملامح الغد ويحدد شكل بناء المستقبل".
- ويضيف: "غير أن الدور التراثي في صياغة الواقع والمستقبل قد يكون سلبياً أو إيجابياً، وذلك انطلاقاً من مجموعة القوى الفاعلة والمتفاعلة مع هذا التراث، وبمدى تعبيرها عن حركة الحياة والتاريخ. وهل تسير بها إلى الأمام أم تكبلها بإسار الماضي وقيود التقليد والتقاليد الجامدة".
- **<u>إسرائيل تُزوّر الآثار</u>**
- قام موسى فلهلم شابيرا (ت1887) في فلسطين بتزوير المئات من القطع ووضع عليها كتابات قديمة وادعى أنها آثار مؤابية. واتهم أيضاً بتزوير بعض أسفار التوراة، حيث أدعى أنه عثر عليها قرب البحر الميت. وقد اغتمر بما كان يدعيه بعض المختصين وبعض المتاحف أيضاً، حتى إن بعضها اشترى مئات القطع منه وعرضت فيها لفترة إلى أن اكتشفت زيفها (كما يحدث اليوم في الكيان). (موقع مؤسسة القدس للثقافة والتراث)
- واستعرضت الكاتبة الأمريكية نينا بيرليه في كتابها: "التجارة غير المقدسة: قصة حقيقية للعقيدة، الطمع والتزوير في الأرض المقدسة"، بعضاً من عمليات التزوير التي يقوم بها الإسرائيليون للتراث والطرق المتبعة فيها والتقنيات المستعملة في ذلك والمجموعات المشتركة فيها.

- فمن هذه الحالات التي أخذت بعداً عالمياً، الصندوق الصخري الذي يعتقد أنه يحتوي على رفات يعقوب أخي المسيح عيسى الذي قتل عام 62 ميلادية. ففي عام 2002 أعلن في الولايات المتحدة في مؤتمر صحافي عن اكتشاف هذا الصندوق الذي قيل إنه نقش عليه "يعقوب بار يوسف أخوي دي يشوع" "يعقوب بن يوسف أخو يشوع".. وقد أثار هذا الخبر ضجة كبيرة ليس بين الآثاريين فحسب، ولكن بين المسيحيين عامة، إذا رأوا في هذا الاكتشاف دليلاً قاطعاً على تاريخية عيسى بعد أن أخذ البعض يشكك حتى بوجوده، وقد كتب عنه أحد المهتمين كتاباً يؤكد أصالة الأثر والكتابة عليه وأنتج عنه فيلماً أيضاً.

- وكان الصندوق بحوزة تاجر الآثار الإسرائيلي المعروف عوديد غولان، وهو كان قد عرضه على أحد الخبراء الذي "وثّق أصالة" الصندوق كما قال. وأخذ هذان وشخص ثالث يروجون له.

- وكان عوديد قد أدعى أنه لم يكن يعرف أهمية الصندوق إلا بعد أن قرأ له أحد الخبراء ما كتب عليه من نقش. ثم عرض الصندوق في أحد المتاحف في كندا وبقي هناك لفترة طويلة كان عشرات الآلاف من الناس فيه يقفون في طوابير لمشاهدته والتمتع برؤيته بل والصلاة عنده. ولكن بعض الباحثين شكك في الادعاء، خاصة أولئك المهتمين بالنقوش، وكان الشك في طبيعة النقش وشكله وطريقة كتابته. وقد أعلن هؤلاء أن النقش حديث على الرغم من أن الصندوق قديم، وتبيّن بعد الفحص أن على سطحه آثار مياه حديثة. وكان السبب الذي أعطاه عوديد لذلك هو أن أمه كانت تمسحه بالماء والصابون من دون معرفة قيمته الأدبية. وقد حققت الحكومة الإسرائيلية مع عوديد وآخرين واتهمته بالتزوير وسرقة الآثار. وكان بعض المسؤولين في الحكومة قد سموا هذا التزييف "تزييف القرن". (المصدر السابق نفسه)

- ومن الأشياء التي تبيّن أنها مزورة ختم حجري قيل في حينها إنه للملك منسّى ملك يهودا (القرن السابع ق.م) حيث نقش عليه "منسّى ابن الملك". وافترض أنه نقش يعود له قبل أن يصبح ملكاً. وكان في حينها قد عرض على جامع آثار بمبلغ مليون دولار.
- كما عرضت منواره "شمعدانا" مصنوعاً من الصخر على أنه خاص برئيس كهنة ما يسمى بالهيكل الثاني وكان قد طلب ثمناً له مبلغاً ضخماً وقد تبيّن أن المنوراه مزورة. (المصدر السابق نفسه)
- ولم تتوقف محاولات السرقة عند ذلك فحسب، حيث "سرق" مؤخراً المصمّمان الإسرائيليان جابي بن حاييم، وموكي هرئيل تصميم "الكوفية الفلسطينية" المعروفة، وجعلاها بألوان "علم

إسرائيل"، و"نجمة داوود" في محاولة لسرقتها. وارتدت زوجة موشي ديان وزير الحرب الإسرائيلي في ستينات القرن المنصرم في إحدى المناسبات العالمية ثوباً فلسطينياً زاعمة أنه تراث "إسرائيلي". وكذلك ارتداء (رؤوفيه روبين) أول سفير لإسرائيل في دولة رومانيا الزي الشعبي الفلسطيني باعتباره زياً توراتياً، وارتداء الإسرائيليات فستان العروس الفلسطينية ببيت لحم المعروف بـ"ثوب الملكة". (المصدر السابق نفسه)

- ولم تسلم النباتات الفلسطينية والعربية من القرصنة "الإسرائيلية"، حيث اختارت زهوراً برية ونباتات فلسطينية لتمثيلها في حديقة الورود التي أقامتها الصين بمناسبة استضافتها للألعاب الأولمبية في العام 2008، خاصة زهرة قرن الغزال وزهرة شقائق النعمان وشجرة الزيتون، لتثبت باسم "إ"سرائيل في حديقة الصين.

- أما عن سرقة المأكولات الفلسطينية فحدّث بلا حرج عن اللصوصية "الإسرائيلية" التي وصلت إلى حد المشاركة في المهرجان السنوي "للمفتول" المنعقد بمدينة "سان فيتو لوكار" الإيطالية عام 2000 لتفوز بالجائزة الأولى لأحسن طبق مفتول، وكذلك المشاركة في مسابقات عالمية أخرى للطهو بالأطباق الفلسطينية وتسويقها معلبة أو تقديم هذه الأطباق في المطاعم العالمية على أنها أكلات شعبية "إسرائيلية".
- وفي الافتراء نفسه تظهر الفرق "الفولكلورية الإسرائيلية" في الحفلات العالمية بالزي الشعبي الفلسطيني وتؤدي رقصة الدبكة وتعزف "الشبابة والأرغول" وغيرها من الألحان الفلسطينية والعربية الأصيلة والشهيرة جداً ولكن بلكنة عبرية، مثل أغنية "الدلعونا".
- كما سعت إسرائيل إلى الاستحواذ على الأثواب المزركشة القديمة لأرشفتها في الموسوعات العلمية، لعرضها في المعارض العالمية على أنها "تراث إسرائيلي"، في قرصنة واضحة للملبس الفلسطيني التقليدي الكامل من الزنانير والكوفية المطرزة في خطوط الموضة إلى "التصميم لبيوت الأزياء العصرية الإسرائيلية". (مصدر سابق)
- وما ساعد على ذلك تسرب تلك الملابس القديمة مع كثير من النحاسيات والصكوك المعدنية، ومصنوعات الفخار، وأدوات زجاجية تراثية، ومنتجات فنية، إلى المتاحف الإسرائيلية لتنضم إلى ما يسمى "بالتراث الشعبي الإسرائيلي" لتعرض على أنها آثار العبريين القدماء، بعد احتلال فلسطين والاستيلاء على مقدراتها. (مصدر سابق)

- أما في مجال التراث الشفوي فقد انتحل الإسرائيليون الحكايات الفلسطينية والعربية، ويذكر الدكتور منعم حداد أنه حتى صيف عام 1986 كان في أرشيف الحكايات الشعبية

"الإسرائيلية" (18500) حكاية كان قد صُنّف منها (11944) حكاية على أنها حكايات "إسرائيلية"، ولكن منها ما نسبته 65 % حكايات من يهود الدول العربية والإسلامية، ومنها (215) حكاية فلسطينية.

- ولا ننسى الحرب التي تخوضها "إسرائيل" ضد القدس لتهويدها وتغيير معالمها، وصدر كتاب عن مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بعنوان "دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس"، تناول فيه الفصل التاسع توصيف واقع التعامل مع تراث القدس الثقافي في المعاهدات والقرارات الدولية، والروافع القانونية التي يمكن استخدامها في حماية التراث الثقافي لمدينة القدس من وجهة نظر دولية.
- ثم يستمر الحديث في الفصل العاشر عن نوع مختلف من الصراع الثقافي على المدينة، من خلال استخدام الموسوعات العلمية اليهودية والأجنبية ذات الامتدادات الأكاديمية في تأكيد انتماء القدس للتراث اليهودي، وأثر ذلك في التطبيقات السياسية والدينية على العقلية الغربية، وهذا الفصل خطير وهام للغاية يجدر بالباحثين إثارته على الأصعدة العلمية كافة.
- وفي الفصل الحادي عشر نعود إلى تفصيل آخر عن الجمعيات التي تعنى بحفظ التراث المقدسي من التزوير الإسرائيلي ودور هذه الجمعيات وإمكانية تعميم الانتفاع بها.

- وفي الفصل الثاني عشر من الكتاب نفسه يظهر لنا قلة الكتب التي اهتمت بالبيلوغرافيا الثقافية لمدينة القدس وأهمية الاستدراك على ذلك، وضرورة تأهيل متخصصين في هذا الجانب لكتابة رواية تاريخية حضارية للقدس خالية من العبث والتزوير.

- أما في الفصل الأخير الذي يحتوي على ثلاثة مباحث هامة ركزت على الأبعاد العملية للحفاظ على التراث الثقافي للقدس، فتناول المبحث الأول المستوى الرسمي الفلسطيني والعربي والإسلامي في هذا الجهد والإطار السياسي العام الذي تعمل عليه هذه الجهات، ومدى هذا الدور.

- ويتناول المبحث الثاني المستوى العلمي الممثل بالعلماء والأكاديميين في مواجهة المخاطر التي يتعرض لها التراث الثقافي المقدسي، فيما يتناول المبحث الأخير أدوار مؤسسات المجتمع المدني في المجال الثقافي وواقعها مع قراءة تطبيقية لتجربة مؤسسة القدس الدولية في حماية التراث الحضاري والثقافي لمدينة القدس.

- وعدّد الكاتب محسن الخزندار، في دراسة له بعنوان: "التراث الفلسطيني والتحدي الحضاري" بعضاً مما قامت به إسرائيل بعد نكسة العام 1967، إذ قامت بهدم حي المغاربة وحي الشرف الملاصق لحائط البراق الذي يرجع لعهد الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين وأجزاء كبيرة من القدس القديمة.

- وشقت إسرائيل الأنفاق والطرق تحت ساحة الأقصى بدعوى البحث عن الهيكل المزعوم مما تسبب في تصدع أجزاء من حوائط الحرم القدسي. كما تم إحراق أجزاء من المسجد الأقصى. كما أحرقت أربعة مراكز مسيحية أثرية في القدس. وكذلك قامت بسرقة تاج السيدة العذراء من كنيسة القيامة. وحولت إسرائيل المتحف الفلسطيني إلى مقر لدائرة الآثار الإسرائيلية ونهب ما به من آثار والقضاء على أي أثر كنعاني فلسطيني.

- قامت القوات الإسرائيلية بتدمير آثار الاستراحة وهي كنيسة تاريخية ترجع إلى القرن الخامس الميلادي على الطريق الموصل بين القدس وبيت لحم حيث قامت القوات الإسرائيلية بتدمير جزء من الآثار وسرقة الجزء الآخر وقامت قوات الاحتلال الإسرائيلي بإقامة مستعمرة على هذه المنطقة مما هدد المعالم الأثرية في هذا المكان. كما قامت القوات الإسرائيلية بنسف أحد الأبواب الجانبية لكنيسة المهد في بيت لحم وتفتيت الموازييك الخاص بكنيسة المهد.
- بالاضافة الى سرقة الأكل والدبكة والثوب الفلسطيني حتى الشعر الملحون والأدب الشعبي..
- سأترككم مع الكاتب والدبلوماسي الفلسطيني ناجي الناجي.....
- ومحاضرة بعنوان "الواقع الثقافي لمدينة القدس"